مجلة

كلية التـــراث الجامعة

مجلة علمية محكمة

متعددة التخصصات نصف سنوية

العدد الثالث والثلاثون

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر (الدولي الثالث)

27 آذار 2022

ISSN 2074-5621

رئيس هيئة التحرير

أ. د. جعفر جابر جواد

نائب رئيس هيئة التحرير

أ. م. د. نذير عباس ابراهيم

مدير التحرير

أ. م. د. حيدر محمود سلمان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق 719 لسنة 2011

مجلة كلية التراث الجامعة معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم (ب 3059/4) والمؤرخ في (2014/ 4/7)

الاوقــاف في عهـد مماليـك مصـر انموذجاً 1250-1517
(دراســة تاريخيــة)

أ.م.د. إيلاف عاصم مصطفى

كلية التراث الجامعة - قسم الاعلام

مستخلص البحث

تناولت في هذه الدراسة توضيح ما الأهمية الأوقاف في عصر المماليك في مصر وللفترة الممتدة منذ عام (١٢٥٠_١٥١٧) ؛حيث إن الأوقاف الدينية ليس لها فقط أهمية دينية لابل تتعدى ذلك إلى أهميتها الاجتماعية والاقتصادية؛ فهنا نلاحظ كيفية التطور والاهتمام الذي حدث اتجاه الأوقاف من ناحية تقديمها لعديد من النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتأثير ذلك على المجتمع والاعتناء بها هو دليل على مدى استقرار الدولة والمجتمع من كل النواحي وازدهاره وبروز عدد من الأوقاف التي أصبحت منارا للعلم والمعرفة ومثال على ذلك جامع الأزهر وغيره وبالتالي بروز وظائف جديدة كان لها ثقلها الاجتماعي وهيبتها.

وبعد ذلك توضح الدراسة كيفية اضطراب الأوضاع في دولة المماليك ومن بعدها عدم العناية الكاملة بالأوقاف ومن ثم تدهورها لابل إهمالها لفترة ولاسيما الحقبة الأخيرة من تاريخ المماليك؛ وانعدام وجود دولة قوية؛ فكانت مطمعا لعدد من الشخصيات المملوكية التي حاولت استغلال الوضع والسيطرة عليها؛ لا بل البيع والشراء بممتلكات الأوقاف.

كلمات المفتاحية: مماليك، اوقاف، مصر

Abstract

In this study, I dealt with the clarification of the importance of endowments in the Mamluk era in Egypt and for the period since (1250-1517), as religious endowments have not only religious significance, but also their social and economic importance; Here we note how the development and interest that has taken place towards endowments in terms of providing them to many political, social and economic activities and the impact this has on society and taking care of them is evidence of the stability and prosperity of the state and society in all respects; and others, and thus the emergence of new jobs that had their social weight and prestige. After that, the study shows how the situation in the Mamluk state was disturbed, and then the endowments were not fully taken care of and then deteriorated, even neglected for a period, especially the last period of the history of the Mamluks; And the absence of a strong state, so it was coveted by a number of Mamluk personalities who tried to take advantage of the situation and control it, not even buying and selling endowment properties.

المقدمة:

بدأ عصر المماليك من عام 1250 منذ انتهاء الدولة الايوبية حتى عام 1517 قيام الدولة العثمانية ,والتي استطاع خلالها المماليك حكم مصر لمدة كبير من الزمن امتد حكمها ما يقارب قرنين ونصف من الزمن واستطاعوا خلالها تأسيس دولة كبيرة مترامية الاطراف ,واصبح المماليك في مصر ذات مكانة سياسية ودينية واقتصادية كبيرة ومعروفة ولاسيما بعد سقوط الخلافة العباسية ,وقد انعكست تلك الظروف على الاوضاع العامة للدولة المملوكية ومنها الاوضاع الدينية اذ اخذ حكام المماليك الى استغلال تلك الظروف الى الاهتمام بالأوضاع الدينية بصورة عامة والاوقاف بصورة خاصة لان الشعب كان ينظر الى المماليك على انهم مغتصبين للسلطة من بنو ايوب ,ونتيجة لذلك اصبح للأوقاف دور كبيراً في جميع مفاصل الدولة

المملوكية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية ,ونتيجة لذلك ارتئيت ان يكون موضوع بحثي الموسوم **"الاوقاف في عهد مماليك مصر انموذجاً 1250-1517 دراسة تاريخية"** ,ويعد السبب في اختياري للموضوع هو اهمية الاوقاف في العصر المملوكي لأنها تعد من الناحية الدينية من اعمال البر والاحسان والخير ,كما كنت للباحثة رغبة في اظهار الخدمات الكبيرة التي كانت تقدمها الاوقاف في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

كان من أبرز الاسباب التي دفعتني الى اختيار موضوع بحثي هو محاولة الباحثة التعرف على اسباب ازدهار الاوقاف وتدهورها وهو ما سوف يجيب عنه البحث في بعض ثناياه المهمة، وفي السياق ذاته قسمت الباحثة البحث الى ثلاثة مباحث تناول الاول منها **"الجذور التاريخية لتطور الاوقاف المملوكية"** فيما تناول المبحث الثاني **"الخدمات الوقفية في الانشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية"**، وحمل المبحث الثالث عنوان **"الدوافع والاسباب التي ادت الى انهيار وتدهور الاوقاف المملوكية"**.

المبحث الاول

الجذور التاريخية لتطور الاوقاف المملوكية

شهد عصر المماليك تطور كبير وملحوظ في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ,ومن اهمها نظام الوقف[1] الذي تأثر في تلك المجلات[2] ,وكان نظام الاوقاف ناظماً راسخاً متغلغل في مصر قبل العصر المملوكي[3] والذي اصبح اكثر تنظيم واتساع في عهد المماليك ونتيجة لكثرة الاوقاف في مصر خلال العهد المملوكي عمل اغلب حكام المماليك على تنظيم الاوقاف ,واصبح بذلك للأوقاف ثلاثة دواوين هي ديوان الاوقاف (المساجد) ,وديوان اوقاف الحرمين وديوان اوقاف الذرية الاهلية[4] ,وظلت الاوقاف تحظى بالاهتمام كبير و مباشر من قبل حكام المماليك[5] ,ويرجع السبب في ذلك الى ان حكام المماليك كانوا مسلمين يؤمنون بالله ورسوله, وكذلك شعور اغلب حكام المماليك انهم غرباء عن البلاد وأهلها وانهم مغتصبون للحكم والسلطة من اصحابها الشرعيين بنو ايوب ,كما انهم اردوا ان يتخذوا من الدين ورجاله ستار يخفي هذه الحقائق ويمكنهم من التقرب من قلوب الشعب لذلك عمدوا الى الاهتمام الكبير في الأوقاف الدينية[6] .

ومن الجدير بالذكر ان الاوقاف المصرية في زمن الحكم المملوكي تنقسم الى اوقاف قديمة سبقت العصر المملوكي ومن ابرز هذه الاوقاف هو وقف الدشيشة[7] كما عرفت مصر ابان الحكم المملوكي ثلاثة انواع من الاوقاف هي اوقاف الاحباس

---

[1] يعرف الوقف من ناحية اللغة بأنه الحبس وقفت الدار وقفاً أي حبستها في سبيل الله, والوقف هو مصدر جمعهُ اوقاف اما من ناحية الاصلاح يعرف بأنه الهبة او الصدقة او الهداية او العطية, ان الوقف هو مصلح فقهي اسلامي يعبر عن نوع من انواع التصدق في سبيل الخير والاحسان. للمزيد ينظر : أمل شفيق محمد العاصي, مباني الاوقاف الاسلامية واثرها في استدامة الانسجة الحضرية للمدن التاريخية ,رسالة ماجستير (غير منشورة) ,كلية الدراسات العليا, جامعة النجاح الوطنية في نابلس ,2010, ص 19؛ محمد عبد الهادي الشيباني ,اوقاف المدينة المنورة والنهضة العلمية في رحابها ,بحث مقدم الى الجامعة الاسلامية, المملكة العربية السعودية, 2009,ص 677 ؛حسام المعاني النعمان ,الاسعاف في احكام الاوقاف ,دار الرائد العربي, بيروت,1981,ص7؛ اسامة صادق طيب, دور الوقف في خدمة التنمية البشرية عبر العصور, سلسلة دراسات يصدرها مركز الانتاج الاعلامي, السعودية , 2008, ص9.

[2] محمد محمد امين, الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, دار النهضة العربية القاهرة, 1980, ص 70 .

[3] محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, بحث مقدم الى جامعة ام القرى, المملكة العربية السعودية ,2001,ص 243 .

[4] ياسين هاشم عبد اللطيف, دور الوقف الاسلامي في التنمية العمرانية , رسالة ماجستير(غير منشورة) , كلية الهندسة, جامعة القاهرة , 2014, ص 11؛ مجدي عبد الرشيد بحر , القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك 1250-1517, الهية المصرية العامة للكتاب , القاهرة, 1999, ص106 .

[5] سهاد نصيف جاسم , الوقف الاسلامي في العصر المملوكي 1250-1517, مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية , العدد (1) , المجلد (25) , 1 كانون الثاني 2018, ص 516 .

[6] سعيد عبد الفتاح عاشور, العصر المماليكي في مصر والشام,ط2 , دار النهضة العربية , القاهرة, 1976 , ص 348-349 ؛ جزام واخرون ,دولة المماليك في مصر 1250-1517 ,بحث تخرج لنيل شهادة الليسانس, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة 08 ماي 1945, 2017, ص 45 .

[7] تتكون الاوقاف الدشيشة من اوقاف الدشيشة الكبرى واوقاف الدشيشة المرادية واقاف الدشيشة المحمدية ,وكل هذه كانت تمثل الحبوب المطحونة التي كانت ترسل الى مكة والمدينة خلال الحكم الأيوبيين والمماليك للمزيد ينظر : هيام هشام احمد

التي يترأسها دوادارالسلطان ويـتألف من ديوان فيه مدير وعدة كتاب ,ويحتوي هذا النوع من الاوقاف على مجموعة من الاراضي خصصت لبناء المساجد والزوايا وغيرها من الاعمال الخيرية ,وكذلك الاوقاف الحكمية التي كانت اغلبها في القاهرة, والتي كان تحت اشراف قاضي القضاة الشافعي ,ويسمى من يتولى الاشراف على هذا النوع باسم ناظر الاوقاف ,وكما تشمل الاوقاف الحكمية اوقاف الحرمين واوقاف تابع للأسرى ,وفي المجال ذاته عرفت الحكم المملوكي بمصر الاوقاف الاهلية التي كان لها ناظر خاص بها ويكون من اولاد صاحب الوقف او من ولاة السلطان او من احد القضاة ,وتحتوي هذه الاوقاف على اغلب الاراضي المصرية والشامية التي تقع ضمن الحكم المملوكي ,والتي تكون موقفة لصالح الخوانق[8] ,والمدارس والجوامع[9] .

وضع حكام المماليك العديد من الاشخاص الادارة الاوقاف لضمان نجاح عملية الوقف ,والذي كان يطلق عليه اسم (ناظر الوقف) او (ناظر النظار) ,والذي كان يقع اختيار من الموظفين المعممين ,والذي كان يحظى بمكانة مرموقة اذ كان يتحدث مع الوزير ويشاركه في الكتابة والتوقيع ,وكان يشرف على عمل الوقف حسب الجهة المخصص لها الوقف المعني ,وكان لناظر الوقف مساعدون يعاونونه في امور الوقف المختلفة[10] ,وفي السياق ذاته كان هناك ناظر اخر يعرف بناظر الاحباس [11] والتي كان يتولها السلطان او نائبه وله العديد من الكتاب والموظفين المعممين[12] ,والتي كانت مهمتها الاشراف على اموال الجوامع والمساجد والمدارس الموقوفة وكل الاشياء الموقفة التي كانت تختص بالصدقات ,وكانت وظيفة ناظر الاحباس هي وظيفة كبيرة جداً تشبه الى حد القول وظيفة وزارة الاوقاف[13] ,ومن المهم ان نشير الى ان وظيفة ناظر الاوقاف قد تعرضت الى الالغاء في عام 1496 ثم اعيدت الى العمل مرة اخرى في عام 1502 ,وظلت تشرف على الاوقاف وتنفذ جميع المهام الموكلة اليها[14] .

ادت الاوقاف المصرية في عصر المماليك فوائد كبيرة ومتنوعة والتي كانت اكثرها تقضي حاجة الفقراء والمساكين والايتام وابناء السبيل، وذلك عن طريق الاعتناء بهم، وتوفير كافة الظروف الاقتصادية المناسبة لهم، وفي المجال ذاته كانت الاوقاف تحقيق رغبات المسلمين عن طريق جعل الفرد المسلم يفكر في حياته ومستقبله، كما كانت الاوقاف لها دور مهم في تحقيق الرعاية الاجتماعية للأشخاص العاجزين عن العمل وذلك عن طريق عمل صناديق متخصصة للمشاريع الخيرية [15] .

كان عصر المماليك بمثابة العصر الذهبي لنظام الاوقاف لان اغلب الأشخاص في العصر المملوكي ممن لديهم ارضي او اموال خاصة بهم يتلطعون الى وقفها لأسباب متعددة ترجع الى اقامة الاعمال الخيرية او ظروف طبيعة العصر كانت تحتم هذا الاتجاه ,وترجع اسباب انتشار الاوقاف وازدهاراها في العصر المملوكي عوامل متعددة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ,والتي اثرت تلك العوامل على نظام الاوقاف وعملت على تدعميها وازدهارها ,وكانت العوامل الدينية

البدرشيبتي, اثر الاوقاف والرواتب على شؤون الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عهد السلطان محمود الثاني 1813-1839, مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق, العدد الخامس والثلاثين, 2015, ص 1493 .

8() مفردها خانقاه وهي كلمة فارسية معبرة عن الخان وله معاني عديدة منها يأتي هو البيت او المكان او المنزل الذي ينزل به الصوفية ,وسمي بالخوانق لأنها ضيقة على انفسهم ,وكانت تستخدم هذه الكلمة في العصر المملوكي لتدل على المسجد او المدرسة لان بنائه المعماري كان يشبه شكل المدرسة او المسجد . للمزيد ينظر في : عبير عنايت سعيد , خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية 1250-1517 , مجلة الاستاذ , العدد (203) , 2012, ص 1456 .

9() سهاد نصيف جاسم, المصدر السابق , ص517 .

10() حسن احمد عبد الجليل البطاوي, اهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك ,ط1, عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية' مصر, 2007, ص 72-73 .

11() تعرف الاحباس بأنها الاراضي الموقوفة على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها ,والتي كانت تقدر مساحتها في عام 1339 مائة وثلاثين الف فدان . للمزيد ينظر في المصدر نفسه .

12() المصدر نفسه .

13() سهاد نصيف جاسم , المصدر السابق, ص 517 .

14() حسن احمد عبد الجليل البطاوي, المصدر السابق, ص74 .

15() مفيد الزيدي, موسوعة التاريخ المملوكي 648-923,ط1, دار اسامة للنشر والتوزيع, 2003, ص 247 ؛ سهاد نصيف جاسم , المصدر السابق, ص 517 -518 .

في مقدمتها اذ شهد عصر المماليك نشاط ديني كبير جداً بعد سقوط الخلافة العباسية 656 اذ اصبحت القاهرة مركزاً دينياً واصبحت قبلة المسلمين من الشرق نحو الغرب[16] .

حاول حكام المماليك ان يتستروا باسم الدين من اجل الحفاظ على مصالحهم الشخصية وذلك عن طريق بناء الجوامع والمساجد لأجل زيادة الروابط الاجتماعية بينهم وبين الشعب من جهة وبينهم وبين العالم الاسلامي في الدول المجاورة من ناحية اخرى [17].

ترى الباحثة ان اتخاذ المماليك الصفة الدينية قد ساعدهم على اقامة علاقات اجتماعية متوازنة مع الناس فضلاً عن ذلك ساهمت في بقاء المماليك واستقرار اوضاعهم الداخلية اغلب فترة الحكم المملوكي.

وكان من أبرز وأشهر نماذج الاوقاف الدينية في مصر خلال الحكم المملوكي هو الجامع الازهر الذي كان يحتل مكانة كبيرة ومهمة في مصر وكانت مصاريفه تصرف من الاوقاف التي كانت توزع على ترميم الجامع والفقراء والمحتاجين [18].

ولم يبتعد الجانب السياسي كل البعد عن الجانب الديني الذي مثل ازدهار الاوقاف ورقيها في العصر المملوكي وظل الجانب الديني ممتزج بالجانب السياسي اذ ان المماليك كانوا يدعمون رجال الدين والاوقاف عن طريق بناء المساجد والجوامع من اجل تقوية علاقة الحاكم بالمحكومين وتوثيق الروابط فيما بينهم، كما عمل اغلب حاكم المماليك على تقوية علاقتهم بالشيوخ ومنهم الشيوخ الصوفية ونتيجة لذلك زادت الاوقاف الصوفية [19].

ساعدت الاوضاع الاقتصادية في الدولة المملوكية على انتشار والاوقاف وازدهارها ,وثد انسجمت تلك الظروف مع انتعاش الحالة الاقتصادية للحكم المملوكي نتيجة لاحتلال المغول بغداد وبلاد الشام واصبحت مصر آنذاك نقطة وصول للتجارة بين الشرق والغرب ,وان هذا قد اد الى زيادة ثروة المماليك الذين اخذوا يفكرون بتحصينها وحفظها واعفائها من ضريبة الزكاة عن طريق نظام الاوقاف[20],وكان للجانب الاجتماعي والثقافي دور هام وبارز في انتشار الاوقاف وازدهارها خلال الحكم المملوكي اذ اخذ بعض العلماء والفقهاء الاهتمام بتوسيع الدور والمدارس والمساجد والجوامع والقصور والخانات والحمامات الوقفية والعناية بها[21] .

المبحث الثاني

الخدمات الوقفية في الانشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية

أ- **خدمات الاوقاف الاجتماعية:** قدمت الاوقاف خلال العصر المملوكي في مصر خدمات اجتماعية متنوعة ومتعددة ويمكن ايجاز بذلك بم ايلي:

1- توفير المياه الصالحة للشرب في المساجد والجوامع والمدارس الوقفية، ويتم ذلك عن طريق حفر بئر في المسجد او المدرسة او الجوامع، وكذلك توفر الاوقاف المياه الغير صالح للشرب لتلك الاماكن من خلال نهر النيل [22].

16() احمد بن علي بن عبد القادر العبيد المقريزي, السلوك لمعرفة دول الملوك,ج1, تحقيق محمد عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, د.م, ص445-500 ؛ محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف= =في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, المصدر السابق, ص 243-244.

17() محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, المصدر السابق, ص 244-245.

18() سهاد نصيف جاسم, المصدر السابق, ص 514 .

19() محمد بن احمد بن ياس الحنفي , بدائع الزهور في وقائع الدهور ,ج1, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة , 1983, ص 116 ؛محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, المصدر السابق, ص 244-245 .

20() محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, المصدر نفسه, ص 244-245.

21() المصدر نفسه , ص 255-257 .

22() سعيد عبد الفتاح عاشور, المجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك,ط1 , دار النهضة العربية, القاهرة ,1992, ص 90-94؛ محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, المصدر نفسه, ص 149 .

2- توفير الخدمات الصحية لمختلف طبقات الشعب وذلك عن طريق البيمارستانات [23] التي استخدمتها الاوقاف في العصر المملوكي والتي حظيت برعاية حكام المماليك، وكانت هذه البيمارستان عبارة عن مستشفى عام لعلاج جميع الامراض [24].
وكانت من قسمة الى قسمين أحدهما للذكور والثانية للإناث مقسمة الى عدة قاعات كقاعة الامراض الباطنية والجراحة وامراض العيون، والتي اصبحت بمرور الزمن بعد ان اوقفها اصحابها تعمل بنظام الاوقاف، وكانت الاوقاف تقدم الخدمات الصحية للناس الذين يراجعون البيمارستانات والذي لم يراجعونها من ذوي الدخل المحدود من الفقراء اذ كانت تسهم الاوقاف بتوفير الخدمات الصحية لهم في بيوتهم عن طريق صرف الادوية والاشربة لهم، وبلغ عدد المترددين على البيمارستان حوالي اربعة الالف شخص [25].

3- دور الاوقاف في انشاء المدارس والمكتبات: اجاز الكثير من الفقهاء والعلماء في العصر المملوكي الوقف على طلبة العلم واعتبروا ذلك من بر الدنيا ومحاسنها وكما عدوا هذا الانفاق بمثابة الجهاد في سبيل الله استناد الى الحديث النبوي الشريف التي تضع مرتبة العلم والعلماء في اعلى مراتب الجهاد والشهداء، وبهذا الصدد اخذ فقهاء الاوقاف ببناء المدارس والجوامع، واكد الفقهاء لعامة الناس ان من ينفق على بناء المدارس كنفقة الجهاد في سبيل الله [26].
وفر الفقهاء والمشرفين على الاوقاف في كل مدرسة خزانة كتب يراجع فيها كل من الطلبة والمعلمين ولاسيما الفقراء منهم ذو الدخل المحدود، وكان يشرف على خزانة الكتب شخص يدعى (خازن الكتب)، وكان يشترط فيه ان يكون اميناً مخلصاً، وكان اغلب من يتولى هذه المهمة هم من العلماء والادباء ليكونوا عوناً للطلبة والباحثين [27].

ب- **خدمات الاوقاف الدينية:** قدمت الاوقاف خدمات دينية كبيرة لكافة الناس خلال الحكم المملوكي ويمكن ايجاز ذلك بما يلي:

1- بناء المساجد والجوامع: عملت الاوقاف بصورة عامة على تدعيم عملية تشييد المساجد والجوامع والخوانق في مصر لكي تتمكن من اداء رسالتها الدينية التي ينقلها الخطباء والائمة والفقهاء ورجال الدين والمؤذنين الى جميع افراد المجتمع المملوكي آنذاك [28].

2- الجهاد في سبيل الله: يعد الجهاد في سبيل الله ذات مكانة كبيرة وثواب عظيم عند الله سبحانه وتعالى، ويعد من المقربات الرئيسية التي حرص الكثيرون على الوقف عليها ولاسيما في الفترات التي واجهت فيها دولة المماليك الاعداء الخارجية اذ ان فقهاء الاوقاف جعلوا جزء من مصاريف الاوقاف لتحصين الثغور البرية والبحرية، كما استخدمت الاوقاف البيوت التابعة للأوقاف ثكنات للجند [29].

ج- **خدمات الاوقاف الاقتصادية :** اهتمت الاوقاف في العصر المملوكي بالأراضي الزراعية الموقفة وذلك من خلال البداء الصرف من واردتها الخاصة على عمارة الاعيان الموقوفة ,وفي المجال ذاته وضع بعض الواقفين شروط خاصة لتأجر الوقف من اجل المحافظة عليه وضمان استمرار موردها ومن هذه الشروط لا يمكن تأجير الاراضي لمدة تزيد عن ثلاثة سنوات اما المساكن والحوانيت فلا يمكن ايجارها اكثر من سنة الا اذا كانت مصلحة الوقف تقتضي تأجير الوقف اكثر من

23() هي كلمة فارسية معربة ومركبة من كلمتين الاولى (بيمار) بمعنى المريض او الضعيف ,والثانية (ستان) بمعنى مكان فهي كانت تمثل مكان المريض او دار المريض. للمزيد ينظر : غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمن القبلان ,البيمارستانات اوضاعها واثارها في العصر المملوكي دراسة حضارية , رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية العلوم الاجتماعية ,جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية, 2006 ,ص9 .

24() محمد عطية ابو هوشيل, الاحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي 1250-1517 , رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية الآداب, الجامعة الاسلامية, 2012, ص 56-57 .

25() محمد عطية ابو هوشيل, المصدر السابق, ص 56-57 .

26() ابي حامد محمد بن محمد الغزالي, احياء علوم الدين , دار ابن حزم, بيروت , 2005 , ص11-20 ؛ محمد محمد امين , الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, المصدر السابق , ص 236 .

27() المصدر نفسه , ص 255-256 .

28() سعيد عبد الفتاح عاشور, المجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك, المصدر السابق, ص 177-178 ؛ محمد محمد امين , الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, المصدر السابق , ص 118-224 .

29() المصدر نفسه , ص 224 .

ذلك ,وان يكون الايجار بأمر القاضي ,وعلى الرغم من اهتمام الاوقاف بالأراضي الزراعية الا ان ذلك ترك اثر سيء على مالية الدولة عل العكس من ان بعض المعممون والفقهاء والعلماء اصبحوا اكثر غنى[30].

المبحث الثالث

الدوافع والاسباب التي ادت الى انهيار وتدهور الاوقاف المملوكية

على الرغم من الخدمات الكبيرة التي قدمتها الاوقاف للمماليك في مصر المتمثلة بأنشاء المدارس والجوامع وازدياد المؤسسات العلمية والتربوية بشكل لم يشهد له مثيل آنذاك الا ان بعد ذلك الازدهار والتقدم لم يلبث الا ان تعرض للانهيار والتصدع نتيجة لعدة اسباب جوهرية [31] التي يمكن ايجازها بما يلي:

أ- اطماع المماليك بالأوقاف ومحاولات حلها:

ان كثرة الاوقاف وضخامة واردتها الاقتصادية وتنوع مصاريفها جعلها تحت انظار واطماع السلاطين والامراء المماليك وبذلك اخذ اغلب المماليك يتطلعون الى حلها او استبدالها او حتى اغتصابها وذلك عن طريق استغلال بعض الفقهاء والقضاة اصحاب النفوس الضعيفة ليجيزوا لهم حل اوقاف السلاطين او استبدالها، وكما استغل بعض الحكام ظروف التي تمر بها الدولة المملوكية عندما تتعرض للعدوان الخارجي في السيطرة الواردات الاقتصادية لبعض الاوقاف دون الرجوع الى الفقهاء والقضاة في هذا المجال [32].

اخذ حكام المماليك يفكرون بالسيطرة على الاوقاف وواردتها الاقتصادية بطريقة او بأخرى وذلك من عن طريق مطالبتهم بالواردات الاقتصادية الأوقاف لأولاد السلاطين الذين نحو املاكهم اوقافً، كما اخذوا يفكرون بالاستيلاء على الاوقاف القديمة بحجة مساعدة الاوقاف بترميمها [33].

ب- دور بعض القضاة والعاملين في تدهور الاوقاف وذلك عن طريق التقرب من حكام المماليك من جل الحفاظ عل مصالحهم الشخصية، كما اخذ بعض الفقهاء والقضاة والعاملون في الاوقاف باختلاس اموال الحرمين فضلاً عن اخذ الرشوة [34]، وفي المجال نفسه وقف بعض العلماء والفقهاء والقضاة [35] بوجه حكام المماليك الذين استبدوا وحاولوا الاستيلاء على الاوقاف او جزء منها [36].

ت- اغتصاب الاوقاف عن طريق الاستبدال او غير الاستبدال: على الرغم من المحاولات الفاشلة التي قام بها حكام المماليك للسيطرة على الاوقاف بشكل مباشر الا انهم حاولوا السيرة على الاوقاف وواردتها الاقتصادية بطرق شرعية تعتمد على الفقهاء والقضاة أنفسهم واخذوا يدفعون الفقهاء والعلماء في ايجاد فتوى تتيح لهم استبدال الوقف بوقف اخر بنفس الشروط الوقفية، وكان لذلك العمل أثر سيء على لأوقاف مما ادى الى ضعفها وتدهورها في العصر المملوكي [37].

ولم يكن الاستبدال هو الطريق الوحيدة التي فكر بها حكام المماليك بال كان هناك طرق اخرى متعددة اتخذها الحكام المماليك للسيطرة على الاوقاف وذلك من خلال اجبار بعض الواقفين على الاشهاد على نفسه ان املاكه واوقافه من مال السلطان المملوكي [38].

الخاتمة:

توصلت الباحثة في دراستها هذهِ الى جملة من الاستنتاجات هي:

1- كانت الموارد الاقتصادية للأوقاف على مر تاريخ الدولة المملوكية تنفق اغلبها على الخدمات الدينية والصحية والتعليمية.

30() محمد ابو زهرة, محاضرات في الوقف ,دار الفكر العربي, القاهرة, 1972 , ص 13-14 ؛ عمار نجيب موسى ناصر , الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي,ط1, دار الشروق للنشر والتوزيع, 2003, 2 128-130 .

31() سهاد نصيف جاسم , المصدر السابق, ص522 .

32() محمد محمد امين , الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, المصدر السابق , ص 222-223 .

33() المصدر نفسه , ص 222-223 ؛ محمد ابو زهرة , المصدر السابق, ص 13-15 .

34() محمد محمد امين , الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, المصدر السابق , ص 321 .

35() الشيخ عزالدين عبد السلام والشيخ تقي الدين محمد بن وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني وشيخ الاسلام امين الدين الحنفي وقاضي القضاة شمس الدين وقاضي القضاة شهاب الدين احمد الشيشي الحنبلي. للمزيد ينظر : المصدر نفسه , ص 367 .

36() محمد محمد امين , الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, المصدر السابق , ص 367 .

37() المصدر نفسه , ص 341 .

38() المصدر نفسه , ص 354-355 .

2- كان للأوقاف دور كبير في دعم وتعزيز مكانة الدولة المملوكية من خلال اعلان الجهاد واستخدام بعض البيوت الوقفية كثكنات عسكرية للجند.
3- كان لعلماء الدين والفقهاء والقضاة دور كبير وبارز في ازدهار الاوقاف وضعفها وانحلالها.
4- حاول اغلب حكام المماليك الاهتمام بالأوقاف حفظاً على مصالحهم الشخصية التي تتعلق ببقائهم بالحكم لان الناس كانوا ينظرون الى المماليك نظرة المغتصبين للحكم.
5- ساهمت الاوقاف بتطوير المجتمع المملوكي والاهتمام بهِ في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية.
6- استفاد حكام المماليك من ظروفهم الصعبة المتمثلة بالعدوان الخارجي والازمات الاقتصادية للسيطرة على واردات الاوقاف بطريقة او بأخرى.

قائمة المصادر بالإنكليزية:

1- Abi Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Ghazali, The Revival of Religious Sciences, Dar Ibn Hazm, Beirut, 2005.
2- Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir Al-Obaid Al-Maqrizi, The Behavior to Know the Countries of Kings, Volume 1, Investigated by Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, d.A
3- Osama Sadiq Tayeb, The Role of the Waqf in the Service of Human Development through the Ages, a series of studies issued by the Media Production Center, Saudi Arabia, 2008.
4- Amal Shafiq Muhammad Al-Asi, Islamic Endowment Buildings and their Impact on the Sustainability of Urban Fabrics for Historic Cities, Master's Thesis (unpublished), College of Graduate Studies, An-Najah National University in Nablus, 2010.
5- Jazam and others, The Mamluk State in Egypt 1250-1517, Dissertation for a Bachelor's Degree, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of May 08, 1945, 2017.
6- Hussam Al-Maani Al-Numan, Ambulance in the Laws of Endowments, Dar Al-Raed Al-Arabi, Beirut, 1981.
7- Hassan Ahmed Abdel-Jalil Al-Batawi, The People of the Turban in Egypt in the Era of the Mamluk Sultans, 1st Edition, Ain for Human and Social Studies and Research, Egypt, 2007.
8- Said Abdel-Fattah Ashour, The Mamluk Era in Egypt and the Levant, 2nd Edition, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1976.
9- Said Abdel-Fattah Ashour, The Egyptian Society during the Era of the Mamluk Sultans, 1st Edition, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1992.
10- Suhad Nassif Jassim, The Islamic Endowment in the Mamluk Era 1250-1517, Tikrit University Journal for Human Sciences, Issue (1), Volume (25), January 1, 2018.
11- Abeer Enayat Saeed, Khanaqat of Egypt until the end of the Maritime Mamluk era 1250-1517, Al-Ustad Magazine, No. (203), 2012.
12- Ammar Naguib Musa Nasser, The Economic Life in Egypt in the Mamluk Era, 1st Edition, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, 2003.
13- Ghada bint Abdullah bin Abdul Rahman Al-Qublan, Bimaristans, their conditions and effects in the Mamluk era, a civilized study, a master's thesis (unpublished), College of Social Sciences, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 2006.
14- Magdi Abd al-Rashid Bahr, The Egyptian Village in the Era of the Mamluk Sultans, 1250-1517, The General Egyptian Book Authority, Cairo, 1999.
15- Muhammad Abu Zahra, Lectures in the Endowment, Arab Thought House, Cairo, 1972.
16- Muhammad bin Ahmed bin Yas al-Hanafi, flowers in the Realities of Ages, Volume 1, The Egyptian General Book Organization, Cairo, 1983.

17- Muhammad Abd al-Hadi al-Shaibani, Endowments of Madinah and the Scientific Renaissance in its Renaissance, research submitted to the Islamic University, Saudi Arabia, 2009.
18- Muhammad Attia Abu Hoshil, Health and Medical Conditions in Egypt and the Levant in the Mamluk Era 1250-1517, Master's Thesis (unpublished), College of Arts, Islamic University, 2012.
19- Muhammad Muhammad Amin, The prosperity of endowments in the era of the Mamluk sultans, a historical and documentary study, the model of Egypt, a paper submitted to Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, 2001.
20- Muhammad Muhammad Amin, Endowments and Social Life in Egypt, a historical and documentary study, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1980.
21- Mufid Al-Zaidi, Encyclopedia of Mamluk History 648-923, 1st Edition, Osama House for Publishing and Distribution, 2003.
22- Hiyam Hisham Ahmed Al-Badrashibti, The impact of endowments and salaries on the affairs of cultural life in Medina during the reign of Sultan Mahmud II 1813-1839, Journal of the College of Arabic Language in Zagazig, thirty-fifth issue, 2015.
23- Yassin Hashem Abdel Latif, The Role of the Islamic Endowment in Urban Development, Master's Thesis (unpublished), Faculty of Engineering, Cairo University, 2014.

قائمة المصادر بالعربية:

1- ابي حامد محمد بن محمد الغزالي, احياء علوم الدين , دار ابن حزم, بيروت , 2005 .
2- احمد بن علي بن عبد القادر العبيد المقريزي, السلوك لمعرفة دول الملوك,ج1, تحقيق محمد عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, د.م .
3- اسامة صادق طيب, دور الوقف في خدمة التنمية البشرية عبر العصور, سلسلة دراسات يصدرها مركز الانتاج الاعلامي, السعودية , 2008.
4- أمل شفيق محمد العاصي, مباني الاوقاف الاسلامية واثرها في استدامة الانسجة الحضرية للمدن التاريخية ,رسالة ماجستير (غير منشورة) ,كلية الدراسات العليا, جامعة النجاح الوطنية في نابلس ,2010.
5- جزام واخرون ,دولة المماليك في مصر 1250-1517 ,بحث تخرج لنيل شهادة الليسانس, كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة 08 ماي 1945, 2017.
6- حسام المعاني النعمان ,الاسعاف في احكام الاوقاف ,دار الرائد العربي, بيروت,1981.
7- حسن احمد عبد الجليل البطاوي, اهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك ,ط1, عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية' مصر, 2007 .
8- سعيد عبد الفتاح عاشور, العصر المماليكي في مصر والشام,ط2 , دار النهضة العربية , القاهرة, 1976 .
9- سعيد عبد الفتاح عاشور, المجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك,ط1 , دار النهضة العربية, القاهرة ,1992 .
10- سهاد نصيف جاسم , الوقف الاسلامي في العصر المملوكي 1250-1517, مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية , العدد (1) , المجلد (25) , 1 كانون الثاني 2018.
11- عبير عنايت سعيد , خانقاهات مصر حتى نهاية عصر المماليك البحرية 1250-1517 , مجلة الاستاذ , العدد (203) , 2012.
12- عمار نجيب موسى ناصر , الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي,ط1, دار الشروق للنشر والتوزيع, 2003 .
13- غادة بنت عبد الله بن عبد الرحمن القبلان ,البيمارستانات اوضاعها واثارها في العصر المملوكي دراسة حضارية , رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية العلوم الاجتماعية ,جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية, 2006 .
14- مجدي عبد الرشيد بحر , القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك 1250-1517, الهية المصرية العامة للكتاب , القاهرة, 1999.

15- محمد ابو زهرة, محاضرات في الوقف ,دار الفكر العربي, القاهرة, 1972 .
16-محمد بن احمد بن ياس الحنفي , بدائع الزهور في وقائع الدهور ,ج1, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة , 1983 .
17- محمد عبد الهادي الشيباني ,اوقاف المدينة المنورة والنهضة العلمية في رحابها ,بحث مقدم الى الجامعة الاسلامية, المملكة العربية السعودية, 2009.
18- محمد عطية ابو هوشيل, الاحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي 1250-1517 , رسالة ماجستير (غير منشورة) , كلية الآداب, الجامعة الاسلامية, 2012 .
19- محمد محمد امين , ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك دراسة تاريخية وثائقية نموذج مصر, بحث مقدم الى جامعة ام القرى, المملكة العربية السعودية ,2001 .
20- محمد محمد امين , الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر دراسة تاريخية وثائقية, دار النهضة العربية القاهرة ,1980 .
21- مفيد الزيدي, موسوعة التاريخ المملوكي 648-923,ط1, دار اسامة للنشر والتوزيع, 2003.
22- هيام هشام احمد البدرشيبتي, اثر الاوقاف والرواتب على شؤون الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عهد السلطان محمود الثاني 1813-1839, مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق, العدد الخامس والثلاثين, 2015 .
ياسين هاشم عبد اللطيف, دور الوقف الاسلامي في التنمية العمرانية ,رسالة ماجستير(غير منشورة) , كلية الهندسة, جامعة القاهرة , 2014.